الباطنية وعبادة الشمس(*)

قبل ألفي عام تقريباً من ميلاد المسيح عليه السلام وُلد نبي الله إبراهيم عليه السلام بأرض الجزيرة من العراق حيث تعاقبت حضارات السومريين والأكاديين والبابليين. وكان مولده عليه السلام ببلدة «أور»(١) التي ارتحل عنها إلى حرَّان ثم فلسطين التي كان يقطنها الكنعانيون حينئذ.

عُرفت أرض الجزيرة آنذاك بعبادة الكواكب التي صُورت لها الصور وبنيت لها الهياكل. فكان في «أور» أشهرُ هيكل للإله القمر «نَانّا» Nanna. كما بُني له هيكل في «حرّان» زمن الأكاديين الذين كانوا يدعونه الإله

(*) غلب استعمال اسم «الباطنية» عند علماء الإسلام على الفرق التي تأولت آيات القرآن والسنة وزعمت أن لها ظاهراً وباطناً كغلاة الشيعة والصوفية؛ لكنني أشير بها هنا كذلك إلى البابليين والمجوس والفلاسفة الذين هم أصل تلك العقيدة كما بين ذلك شيخ الإسلام وغيره. وقد وجدتُ كلمة «باطني» أقرب مرادف للكلمة الانجليزية esoteric «إيزوتيريك» المستعملة في دراسة الأديان والتي تصف أولئك الذين يزعمون أنهم من «الخواص» وأنهم يعلمون علماً باطناً اختُصّوا به. والكلمة مشتقة من اليونانية *esoterikos* وتعني «باطني» أو «داخلي» أو «جَوفي».

(١) وقيل بغيرها.

«سين» Sin. ووفقاً لأساطير الأكاديين فقد أنجب الإلهُ القمرُ من زوجته ثلاثة آلهة هم آلهةُ الشمسِ، والزهرةِ (أو عشتار)، وإله العواصف والمطر «هدَد» Adad. وأصبحت آلهة القمر Sin والشمس Shamash والزُّهرة Ishtar ثالوثاً يعبد من دون الله[1].

يقول الله تعالى واصفاً مناظرة إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصنامًا آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين ﴿٧٤﴾ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ﴿٧٥﴾ فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ﴿٧٦﴾ فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ﴿٧٧﴾ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون﴾ [الأنعام: ٧٤ - ٧٨].

قال ابن كثير في تفسيره: "والحق أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان في هذا المقام مناظراً لقومه، مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام، فبيَّن في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية التي هي على صورة الملائكة السماوية... وبيَّن في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل، وهي الكواكب السيارة السبعة المتحيرة، وهي: القمر، وعطارد، والزهرة، والشمس، والمريخ، والمشترى، وزحل. وأشدهن

(1) *Encyclopedia Britannica – Standard Edition CD-ROM*, (Encyclopedia Brittanica, Inc., 2002), "Ishtar".

إضاءة وأشرفهن عندهم الشمس، ثم القمر، ثم الزهرة. . . "[1].

فلما كانت الشمس أشد الأجرام إضاءة كانت عبادتها هي الغالبة على تلك الشعوب القديمة في بلاد الرافدين وغيرها كمصر والشام. وأصبحت الآلهة الأخرى تعدُّ تجلياتٍ أو تجسداً للإله الشمس. يقول «قاموس الكتاب المقدس» - الذي حرره «جيمس هيستينجْز» James Hastings - تَحْت مدخل «ديانة بابل»:

. . . معظم الآلهة المحلية التي كانت تُعبد في مدن بابل القديمة هي آلهة شمس. فبالإضافة إلى المركزين الرئيسين لعبادة الشمس «سيبار» في بابل الشمالية و«لارسا» في الجزء الجنوبي كان الإله الحامي لشيربورلا (أو نينجرسو) إله شمس. والإله «نِرجال» الذي كان يعبد في مركزٍ مهم آخر - كوثة - هو كذلك إله شمس. ومثله «زامالمال» الذي كان لمدينة مهمة هي «كيش». بينما «مردوخ»[2] - الذي هو في أصله إله مدينة بابل فحسب، ثم صار بنمو المدينة كعاصمةٍ لولاياتِ بابل المتحدة رئيساً لهيكل الآلهة - كان إلهَ شمس بلا ريب. . . **وبميل مماثل لتقنين العقائد الذي نتج عنه تركيز إلاهات المراكز الأكثر أهمية في شخص إلاهة واحدة هي «عشتار» كذلك بمرور الزمن صار يُنظر إلى آلهة الشمس**

---

(١) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم (دار السلام ودار الفيحاء، الطبعة الأولى، ١٤١٤) ج ٢، ص ٢٠٤.

(٢) إسم "مردوخ" في السومرية هو «أمار-أوتو» amar . utu أي «عجل الشمس». وفي هذا ربط بين صورة العجل وبين عبادة الشمس.

المحلية العديدة كصور وتجليات شتى للجرم الواحد العظيم[1].

وكما انتشرت عبادة الشمس بمظاهر شتى انتشرت عبادة «عشتار» بأسماء عدة. فعُرفت الأخرى عند السومريين باسم «إنانَّا» Inanna وعند الأكاديين والبابليين باسم «عشتار» Ishtar وعند المصريين باسم «إيزيس» Isis وعند اليهود باسم «عشتورت» Ashtoret (أو بصيغة الجمع «عشتاروت») وعند العرب باسم «عَثْتر»[2] وعند الإغريق باسم «أفروديت» Aphrodite وعند الروم باسم «فينوس» Venus.[3] بل أصبح «عيد الفصح» عند النصارى يدعى «إيسْتَر» Easter وهو تطوُّر لاسم «عِشتار».

تطور عن هاتين العبادتين – أعني «عشتار» و«الشمس» – ثنائية عُرفت في بلاد الرافدين بأسطورة «إنانَّا ودُموزي» أو «عشتار وتموز». وهي تصور لنا الإله الشمس «تموز» رسولاً لعشتار «ملكة السماء» إلى العالم السفلي ليستجيب لصرخات المزارعين الجَوعى فيقدم خلاصاً للبشر. فهو الإله الذي يهبط إلى «العالم السفلي» أثناء «الانقلاب الصيفي» ليعود ساحباً وراءه خضرة الربيع أثناء «الانقلاب الشتوي». هذه الأسطورة كانت المصدر الذي بنيت عليه فيما بعد أساطير الأم الكبرى وابنها (أو زوجها)، بشتى أشكالها وألوانها.

(1) Hastings, James. *A Dictionary of the Bible*, (The Minerva Group, Inc., 2004), vol. V, p. 542.

(٢) وقد تكون عبادتها نشأت أصلاً في جزيرة العرب بين أقوام العرب البائدة كما يرى البعض، والله أعلم.

(3) Turner, Patricia. *Dictionary of Ancient Deities* (Oxford University Press, 2001), p. 242.

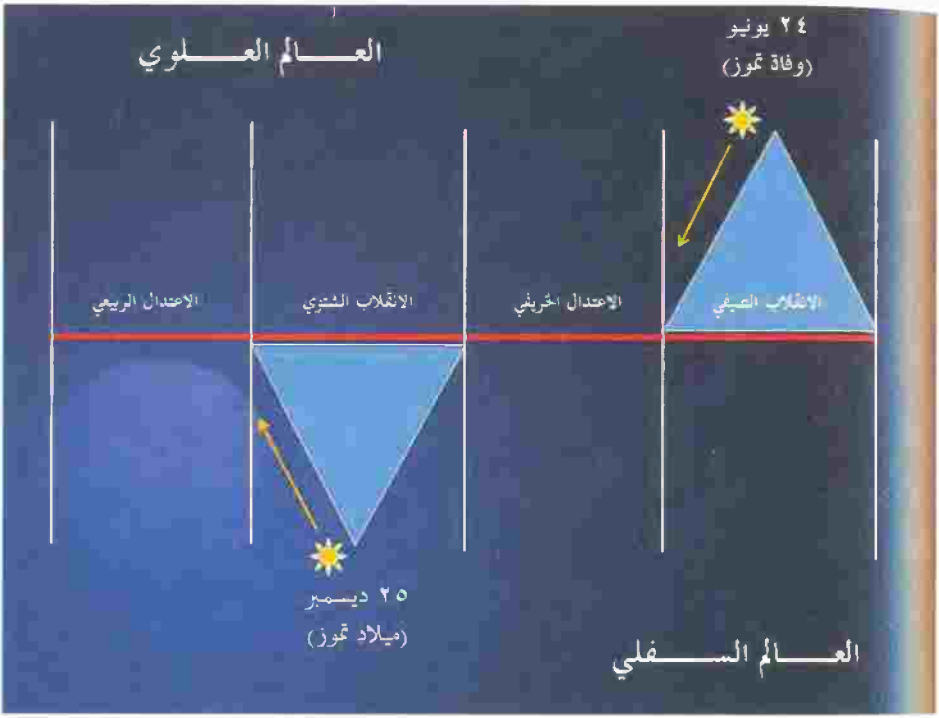

صورة رقم (١): رسم يوضح دورة الشمس «تموز» السنوية.

وقد أثَّرت هذه الأسطورة في أساطير الكنعانيين والمصريين والإغريق والروم من بعد، وصار «تموز» يعرف بأسماء أخر مثل «أدونيس» Adonis و«بعل» Baal و«أوزيريس» Osiris (أو «حورس» Horus) و«ديونيسوس» Dionysus و«آتيس» Attis. ثم رحلت الأسطورة إلى قلب الكنيسة الكاثوليكية الرومية متمثلةً في عبادة «**السيدة العذراء والابن**». ورغم تعقد الطقوس الزراعية فيما بعد إلا أن هذا القربان الإلهي الذي نزل من السماء لخلاص الأرض لم يبتعد عن جوهره القديم كما مثَّلته أساطير الأولين وإليك أهمها.

إنانّا ودُموزي (عشتار وتموز):

«إنانا» Inanna اسم سومري مشتق من الشكل السومري الأقدم Nin-ana ويعني «سيدة (أو ملكة) السماء»[1]. أما «دُموزي» Dumu-zi (أي تموز) فهو بمعنى «الابن الوفيّ»[2]. ولعل أول نص خطه الإنسان عن الأم الكبرى وابنها (أو حبيبها) القتيل هو نص الأسطورة السومرية المعروفة بـ «هبوط إنانا إلى العالم السفلي»[3] Inanna's Descent to the Underworld. وهي تصف ما حدث بعد أن اقترنت إنانا بدموزي واتجهت إلى العالم السفلي. ولاعتبارها مصدراً لما أعقبها من أساطير مماثلة آثرتُ أن أذكرها بنصها مع الإيجاز. تقول الأسطورة:

هجرَت سيدتي السماءَ والأرضَ وإلى العالم السفلي هبطت...
وعندما وصلت إنانا إلى القصر... تصرفت بجرأةٍ عند باب العالم السفلي... [قائلة] أنا ملكة السماء، الموضع الذي تُشرقُ منه الشمس... [فكان أن نُزعت منها حُلَلُها وحُليُّها عند كل باب وَلَجته]. وعند دخولها الباب السابع أُخذت عن جسدها حُلَّة السيادة والحكم... [و] تحولت المرأة العليلة إلى جُثةٍ هامدة، وعُلّقتْ الجُثة من مسمار... بعد انقضاء ثلاثة أيام وثلاث ليال... شرع [وزيرها] يندبها عند الخرائب ويضرب الطبل من أجلها في مزار

(1) Leick, Gwendolyn. *A Dictionary of Ancient Near Eastern Mythology* (Routledge, 1998), p. 86.

(2) Langdon, S. *Tammuz and Ishtar* (Oxford: OUP, 1914), p. 6.

(٣) فراس السواح. لغز عشتار (دمشق: دار علاء الدين، ٢٠٠٢) ص ٢٩٢.

المجمع . . . فأجاب الأب أنكي : . . . قُولا لإريشكيجال [ملكة العالم السفلي] : سَلِّمينا الجُثَة المعلَّقة بالمسمار رُشا عليها خبز الحياة وماء الحياة عند ذلك تقوم إنانا وتعود لها الحياة . . . فقامت إنانا . ولما شرعت إنانا تنوي الصعود من العالم السفلي أمسكها الأنوناكي وقالوا لها : مَنْ مِنَ الذين هبطوا إلى العالم السفلي اِستطاع أن يصعدَ سالماً؟ فإذا أرادت إنانا أن تصعد منه دعها تُقدِّمْ مَنْ يكون بدلاً عنها . صعدت إنانا من العالم الأسفل . . . [وتابعت سيرها بحثاً عن بديل برفقة العفاريت حتى وجدت زوجها الإله الراعي دوموزي وقد] ارتدى دوموزي حلَّةً فاخرة واعتلى جالساً على منصته فأمسكه العفاريت من فخذيه . . . لقد سلَّمت إنانا الطاهرة دوموزي الراعي لأيديهم . . . بكى دوموزي . . . نحو السماء رفع يديه إلى أُوتو : أي أُوتو ! . . . دعني أتخلصْ من عفاريتي ولا تدعْهم يمسكوني . . . فتلقى أوتو دمعه قرباناً وكإله رحمة واسعة أراه من رحمته . . . [لكن العفاريت تدركه مرة أخرى وتعذبه وتضرب وجهه فيموت] فدموزي لم يعد بين الأحياء وحظيرته قد راحت نهباً للرياح[1] .

هذا الهبوط تحدثت عنه الأسطورة البابلية التي تُكرِّر أحداث أسطورة «إنانا» في معظم تفاصيلها . إلا أن عشتار لا تحقق بنفسها انتصاراً على الموت

(1) Kramer, S. *Sumerian Mythology* (Philadelphia: UPP, 1961), pp. 88-96.
وديع بشور . الميثولوجيا السورية (أساطير آرام) . الطبعة الثانية . صفحة ٢٣١-٢٤٣ .
فراس سواح . مغامرة العقل الأولى (دار علاء الدين، ١٩٩٦) الطبعة الحادية عشر، ص ٣٣٠-٣٣١ .

لكي ترسل «تموز» بديلاً عنها، بل إنها تحقق لنفسها ولتموز الذي هبطت من أجله بعثاً جديداً! فبعد أن حبسته «عفاريت» الشتاء فندبه النادبون وبكته البواكي يعود «تموز» الشمس في بداية الربيع ليدخل البهجة ثانية في قلوب الرعاة والمزارعين.

يقول كاتب الميثولوجيا الشهير «دونالد مكنزي» Donald Mackenzie في كتابه «**أساطير بابل وآشور**»: "**لقد تجسدت شمس الربيع في «تموز»** الغلام الراعي الذي أحبته إلاهة الأرض «عشتار» ومنافستُها «إريشكيجال» إلاهة الموت – «برسِفوني» البابلية. في الشتاء يسكن «تموز» جهنم Hades [العالم السفلي] وفي بداية الربيع تهبط «عشتار» باحثة عنه بين الظِّلال"[1].

«عشتار وتموز» عند الكنعانيين:

انتقلت أسطورة «عشتار وتموز» إلى كنعان لكنها وصلت إلينا عن طريق المصادر الإغريقية[2]. فأصبحت «عَستارت» Astarte (أو «عَشتارت») الفينيقية «أفروديت» Aphrodite الإغريقية بعد أن أخذ الإغريق عبادتها عن طريق جزيرة قبرص. تقول الرواية الإغريقية إن أم الإله أدونيس Adonis استحالت شجرة عندما حملت به ثم ولدته، فكان طفلاً بارع الجمال. فأحبته الإلاهة أفروديت (أي عستارت) وأخذته إليها، وأودعته صندوقاً أحكمت إغلاقه خوفاً عليه، ودفعته إلى إلاهة العالم السفلي «برسِفوني»

(1) Mackenzie, D. *Myths of Babylonia and Assyria* (Kessinger Publishing, 2004), p. 53.

(2) Handy, Lowell K. *Among the Host of Heaven* (Eisenbrauns, 1994), p. 59.

Persephone . لكن «برسفوني» قررت الاحتفاظ به لمَّا رأته . فلما اختلفتا قَضى كبيرُ الآلهة أن يكون عند هَذه نصف عام وعند الأخرى مثل ذلك . وهذا يعني أن تحظى «إلاهة العالم السفلي» بأدونيس الذي يمثل الشمس في منتصف الصيف وتحظى به «ملكة السماء» في منتصف الشتاء فهو بذلك لا يختلف عن صورته الأصلية «تموز» .

يقول «جيمس فريزر» في كتابه «**أدونيس وآتيس وأوزيريس**» : "كان اسم الإله الحقيقي هو «تموز»، أما اللقب «أدونيس» فليس سوى الكلمة السامية «أدون» أي السيد، وهو لقب تشريف خاطبه به عَبَدَتُه "[1] . فأدونيس إذن هو «تموز» في ثوبه الكنعاني .

لكن «تموز» عرف بين الكنعانيين باسم «بعل» Baal أيضاً وهو الاسم الذي عَرفه به بنو إسرائيل . ففي الألواح التي تعرف بألواح بعل وعناة نجد الإله «بعلاً» وقد بدأ بتوطيد مملكته بالتغلب على الآلهة الأخرى . ثم أخلد إلى الراحة وبنى له بيتاً بمساعدة حبيبته الإلاهة عناة Anath . لكن راحته لا تدوم فإله العالم الأسفل «موت» Mot يطالب بتسليمه . فنزل من عليائه مختاراً هذه المرة، واستسلم طائعاً للموت الذي فتح فاه وابتلعه، فجفت بذلك خضرة الأرض وثمارها . أما «عناة» فهامت على وجهها نادبة حبيبها الغائب حتى هدَّها الإعياء . فمضت إلى «موت» راجيةً فرَدَّها خائبة مراراً . فما كان منها إلا أن أمسكته وقطَّعته بالسيف وشوته وطحنته ودفنته في الحقل ! ثم استردت إليها «بعلاً» لتعود معه الحياة فيورق الشجر وينضج الثمر وتنتعش

(1) Frazer, James. *Adonis, Attis, Osiris* (Kessinger Publishers, 2003), vol. I. p. 6.

سيقان القمح. لكن «موت» يسترد قواه وهكذا يستمر الصراع الذي يصور رحلة الشمس[1].

«عشتار وتموز» عند المصريين:

عرف «عشتار وتموز» عند المصريين بـ«إيزيس وحورس». وقد وردت بالأسطورة المصرية روايتان إحداهما ذكرها المؤرخ الإغريقي «بلوتارْخ» Plutarch في كتابه «إيزيس وأوزيريس» وتحكي كيف استمال «سِت» Set الشريرُ أخاه «أوزيريس» Osiris ليدخل في صندوق (كما حدث في قصة «أفروديت») ثم أحكم إغلاقه ورماه في النيل. بحثت عنه زوجته «إيزيس» Isis فوجدت التابوت قد التحم بجذع شجرة عند قصر الملكة «عستارت» بمدينة «بيبلوس» الفينيقية. طالبت «إيزيس» باستعادة زوجها فكان لها ما أرادت، وتمكنت من استخراجه وفتح التابوت، لكن زوجها كان قد لفظ أنفاسه الأخيرة. فتلت عليه تعاويذ سحرية كانت قد تعلمتها من أبيها فقام من موته وعاشرها ثم مات ثانية. وبعد أشهر ولدت «حورس» Horus. عثر «سِت» على جسد «أوزيريس» فقطعه إرباً ووزعه في البلاد، فقامت «إيزيس» بجمع أجزائه لتدفنه دفن الكرام. فباركت الآلهة الأخرى تفاني «إيزيس» وأقامت «أوزيريس» من الأموات جزاء صنيعها[2].

---

(1) *The Anchor Bible Dictionary*, "Anath" (New York: Doubleday Broadway, 1992) vol. I. p. 225.

(2) Plutarch. *Isis and Osiris*, Frank Cole Babbitt, trans. (Loeb Classical Library, 1936), vol. VI. pp. 47-49.

أما الرواية الأخرى فهي التي أوردها المؤرخ الإغريقي الآخر «ثيودور الصِقلِّي» Diodorus Siculus فيما انتهى إلينا من كتاباته. وهذه الرواية تجعل من «أوزيريس» ملكاً يعلِّم المصريين أسس الحضارة فيغتاله أخوه الشرير «سِت» (أو «طيفون» Typhon كما أسماه الصقلي) ويقطّع جسده ويبعثره في طول الأرض وعرضها. لكن «إيزيس» و«حورس» ينتقمان له من «طيفون» وتستعيد «إيزيس» أجزاء جسده وتبعث فيها الحياة وتوزعها في مشارق الأرض ومغاربها حيث تغدو تلك البقاع مراكز لعبادته[1].

وصلت إلينا هذه الأسطورة المصرية عن طريق المصادر الإغريقية التي استلهمت روايات شفهية كانت سائدة إبان عصر البطالمة فجاءت تعبيراً عن الأسطورة في شكلها المتأخر مضافاً إليه تزيين إغريقي. فهي إذن صورة معدلة لأسطورتي «تموز» و«أدونيس»[2]. لكنها مع ذلك لا تزال تحتفظ بجوهر الأسطورة القديم كما هو بيِّن، فهي تلتقي مع سابقاتها في كثير من تفاصيلها وفي تشبيهها عودة الشمس إلى بهائها وإشراقها بالخروج من عالم الأموات.

لكن الذي يهمنا هنا هو المعتقد المصري العتيق المتمثل في عبادة «إيزيس» و«أوزيريس» (أو «حورس») و«سِب» أبي الآلهة والذي ترك أبلغ الأثر في عقائد اليهود والنصارى. لكنني سأكتفي هنا بعرض المهم من هذه العقيدة الفرعونية

---

(1) Siculus, Diodorus. *The Historical Library of Diodorus the Sicilian*, George Booth, trans. (London: W. M'Dowall for J. Davis, 1814), vol. I, Ch. 2, p. 27.

(٢) لغز عشتار. ص ٣٢٢.

وبعض الرموز التي ارتبطت بها لخفائها على غير المختص.

أما «إيزيس» – التي هي «عشتار» – فكانت إبنة للإله «سِب» Seb وزوجة وأختاً لـ«أوزيريس» وأماً لـ«حورس» الذي هو «تموز» أو «بعل».

تُرى «إيزيس» في أغلب أحيانها قابضة صليبَ الـ«عَنْخ» ankh – رمز الحياة – في إحدى يديها، وفي الأخرى عصا أو صولجاناً، وأحياناً رافعة الـ«صلاصل» sistrum وهي آلة موسيقية قديمة استبدلت بها الكنيسة أشكالاً أخرى.

اشتهرت «إيزيس» بالسحر أكثر من أي إله مصري آخر فقد تعلمت من والدها السحر لتبعث زوجها «أوزيريس» من الأموات. بل ذكرت الأساطير أنها احتالت على إله الشمس «رع» ليُعلّمها اسمه الأعظم بعد أن أرسلت أفعى تبث في جسده سماً لا يملك ترياقَه سواها. فلما علمت الاسم امتلكت قدرة ذلك الإله الشمسي، وأصبح عُبَّادها فيما بعد يسألونها في طقوسهم باسم إله الشمس الذي تعلمته أن تقضي حوائجهم. كما أصبحت أفعى (الكوبرا) مصدر قوة عند المصريين لأنها اضطَرت إله الشمس «رع» للبوح باسمه الأعظم. صُوِّرت هذه الأفعى على رؤوس بعض الآلهة المصرية وعُرفت باسم «واجيت» Wadjet أي «الخضراء»[1].

(1) Turner, Patricia. *Dictionary of Ancient Deities*, p. 243.

صورة رقم (٢): قرنا «إيزيس» وبينهما قرص الشمس (أو القمر).

أُلبست «إيزيس» خصائص الأم «حتحور» (أي «بيت حورس») وصارتا تعرفان عند المصريين باسم «إيزيس-حتحور»[١]. ونتج عن دمج «إيزيس» بـ«حتحور» ارتباطها بما ارتبطت به «حتحور». فأصبحت مثل «حتحور» تمثل الإلاهة البقرة كما استعاضت في تصاويرها عن تاجها الذي يمثل عرشاً بتاج «حتحور» الذي يمثل قرني بقرة طويلين يتوسطهما قرص الشمس، وقيل القمر.

أما «أوزيريس» فكان ابناً للإله «سِب» أيضاً، وزوجاً وأخاً لـ«إيزيس» وأباً لـ«حورس». كما أنه اتحد مع «حورس» ليكوِّنا الإله «أوزيريس-حورس» إله

(١) تقول «ريجولا ديتراسي» Regula deTraci - كاهنة «إيزيس» وعضو «زمالة إيزيس» Fellowship of Isis التي تأسست في إيرلندا الجنوبية عام ١٩٧٦م - في كتابها «أسرار إيزيس»: "[تاريخياً] إيزيس وحتحور كانتا تصوران بشكل متبادل في بعض الأدوار . . . [أما أسطورياً] فبالرغم من ضآلة ما تبقى من الأسطورة حول علاقة إيزيس بحتحور إلا أنهما كانتا تعدان منذ زمن بعيد نسبياً إلاهتين متشابهتين من جوانب عديدة". انظر:

DeTraci, Regula. *The Mysteries of Isis* (Llewellyn Worldwide, 1995), p. 138.

البعث بعد الموت، مما جعل بعض العلماء ينظر إلى «حورس» على أنه تجسد لـ«أوزيريس» في صورة الابن[1].

أصبحت روح «أوزيريس» - التي تعرف باسم «با» Ba - تُعبد كإله مستقل يدعى «بانِبْجد» Banebdjed.[2] وهذا الإله هو الذي يعرف في الكتابات الباطنية بـ«كبش منديس» Goat of Mendes.[3] وبعض الباحثين يجعله مطابقاً لـ«بافوميت» Baphomet الذي كان يعبده «فرسان الهيكل»، لذا نجد عابد الشيطان الرومي الكاثوليكي «إليفاس ليفي» Eliphas Levi يسمي صورته الشهيرة للشيطان Baphomet of Mendes «بافوميت منديس».[4]

بعد اتحاد «أوزيريس» بـ«بتاح» Ptah أصبح «أوزيريس» مطابقاً للإله العجل «هابيس» Apis الذي عبده اليهود بعد الخروج من مصر. نتج عن ذلك دمج الاثنين في «أوسورابيس» Osor-apis الذي عرف عند الإغريق باسم «سيرابيس» Serapis.

أختم بذكر «حورس» أي «الباز». فهو ابن «إيزيس» و«أوزيريس» وصاحب العين التي أصبحت مضرب المثل. تقول الأساطير إن «حورس» كان يمثل السماء بنيِّرَيها الشمس والقمر، فكانت الشمسُ عينَه اليمنى وكان

(1) Hislop, Alexander. *The Two Babylons* (London: S. W. Partridge & Co., 1903), p. 43.

(2) Pinch, Geraldine. *Egyptian Mythology* (Oxford University Press US, 2004), p. 114.

(٣) منديس: مدينة مصرية قديمة كانت تعرف عند المصريين باسم «جِدِت».

(4) Levi, Eliphas. *Transcendental Magic: It Doctrine and Ritual* (London: George Redway, 1896), p. xxii.

القمر عينَه اليسرى. فلما قُتل أبوه وانبرى هو ينتقم من «سِت» قاتلِ أبيه نال الآخر من عينه اليسرى ففقأها. فأصبحت عينه اليمنى التي تمثل الشمس أكثر إشراقاً من أختها وصارت تُعرف بـ«عين حورس» The Eye of Horus أو «واجيت» وهذا الأخير هو اسم الأفعى آنفة الذكر.[1] تظهر «عين حورس» على التمائم، كما تظهر على الدولار الأمريكي وقد اعتلت هَرَماً، وهو شعار مرتبط باليسوعية بخلاف ما اشتهر من أنه خاص بالماسونية كما سيأتي بيانه.

صور رقم (٢-٤):
عين حورس.

لقد كانت عبادة المصريين في حقيقتها - كما ترى - عبادة للشمس بتجلياتها المختلفة، تماماً كما كان الحال في بلاد الرافدين. وهذا ما توجزه «إيفا فاسيليفسكا» - أستاذة الأنثروبولوجيا والشرق الأدنى القديم بجامعة «يوتا» Utah الأمريكية - بقولها:

(1) Pinch, Geraldine. *Egyptian Mythology*, p. 131.

إن عدداً كبيراً من آلهة الشمس المصرية وارتباطاتها تشير بجلاء إلى أن الشمس ربما كانت أهم قوة مؤلّهة في مصر القديمة. . . بالإضافة إلى الصور العديدة التي ارتبطت بالشمس فقد كانت مظاهرها المختلفة تتجلى في شكل آلهة شمسٍ شتى. من بينها الإله «رَعْ» الذي كان أهمها لأنه عُدَّ التجلي التام للشمس. وكان اسمه هو الكلمة المستعملة لوصف الجرم السماوي. كما أن جرم الشمس يمكن أن يسمى «عين رع» وتمثله إلاهة هي في العادة «حتحور» Hathor. وإسم الشمس عند فلق الصبح هو «خِبري» Khepri أي المتبدِّية. . . وعند اعتباره شمس المشرق ارتبط «رع» بـ«حورس» وكان يعبد باسم «حوراختي» Horakhte أي «حورس الأفق». وعندما كان شمساً يافعة كان اسمه «أتوم» Atum. . . وكانت قوى «رع» فائقة حتى إنه اندمج مع «أوزيريس» Osiris في العالم السفلي Duat. . . وأخيراً كان الإلهُ المقدَّمُ في فترة العمارنة (تقريباً ١٣٥٣-١٣٢٧ ق. م.) إلهَ شمسٍ يعرف باسم «آتِن» Aten [1].

الأهرام وعبادة الشمس:

كان من مظاهر عبادة الشمس عند الفراعنة بناء «الأهرام» التي عرفت عند البابليين باسم الـ«زيجورات» Ziggurat ومعناه «المرتفعات» أو «النُصُب».

(1) Wasilewska, Ewa. *Creation Stories of the Middle East* (Jessica Kingsley Publishers, 2000), p. 94-95.

وكانت في أول الأمر مدرَّجة يُرقى بها – على حد زعم الفراعنة – إلى الإله الشمس[١]، ثم أصبحت ملساء تمثل أشعة الشمس التي تسقط على الأرض بشكل يشبه الهرم[٢]. وكان من مظاهر عبادة الشمس كذلك بناء «المسلاَّت» obelisk واحدها «مسلة»، وهي عمود صخري ذو أربعة جوانب، ينتهي برأس مستدق على شكل هرم صغير.

يقول «فيليب ووترمان» في كتابه «**قصة الخرافة**»: "كثير من الصخور المقدسة في العالم على شكل أهرام. كان هذا الشكل محبباً أيضاً لدى الشعوب التي عبدت الشمس"[٣].

ويرى «مايكل رايس» في كتابه «**ميراث مصر**» أن "«هميونو» [هامان] – الذي ينسب له الفضل في بناء هرم [الملك] «خنوم-خوفو» («خيوبس» عند الإغريق) – يمكن فعلاً أن يكون قد ألهم حبس أشعة الشمس على هيئة حجارة، وهكذا اخترع ذات يوم من أيام الشتاء المعْلَمَ الذي ارتبط إلى الأبد بـ[اسم] الملك، في الصحراء التي إلى الشمال من «منف» حيث تُلاحَظ أحياناً ظاهرة اختراق أشعة الشمس للسحاب فتشكل هرماً تاماً من النور"[٤].

---

(١) هل يمكن أن يكون هذا هو «الصرح» الذي عناه فرعون عندما قال: ﴿ يا هامانُ ابنِ لي صرحًا لعلي أبلغُ الأسبابَ ﴿٣٦﴾ أسبابَ السمواتِ فأطلعَ إلى إلهِ موسى وإني لأظنُّهُ كاذبًا ﴾ [غافر : ٣٦ – ٣٧]؟

(2) *Pocket Encyclopedia – World History* (Worcs, UK: Sandcastle Books Ltd., 2008), p. 21.

(3) Waterman, Philip. *Story of Superstition* (Kessinger Publishing, 2003), p. 126.

(4) Rice, Michael. *Egypt's Legacy: The Archetypes of Western Civilization 3000-30 BC* (Routledge, 2004), p. 43.

صور (٥ - ٦ - ٧):
أخذت الأهرام أشكالاً شتى عند الأمم.

وحول «المسلات» يقول عالم المصريات «آلفرد فيدمان» في كتابه «**دينُ قدماءِ المصريين**»:

"وُجدت عبادة الشمس في مصر منذ عصور ما قبل التاريخ، ونالت قبولاً شعبياً حتى آخر مرحلة من التاريخ المصري. ونُذرت للشمس «**المسلاتُ**» التي قامت على مداخل المعابد وكذا أدوات النذور الشبيهةُ لها والتي كانت توضع في المقابر خصوصاً أثناء المملكة القديمة[1]".

(1) Wiedemann, Alfred. *Religion of the Ancient Egyptians* (Adamant Media Corporation, 2001), p. 16.

ومثل هذا تشهد به «دائرة المعارف البريطانية» تحت مدخل obelisk «المسلّة» بقولها: "تُزيَّنُ كلُ جوانب عمود المسلة الأربعة بكتابات هيروغليفية تحوي بشكل متميز نذوراً دينية للشمس، واحتفاء بسِيَر القادة"[1].

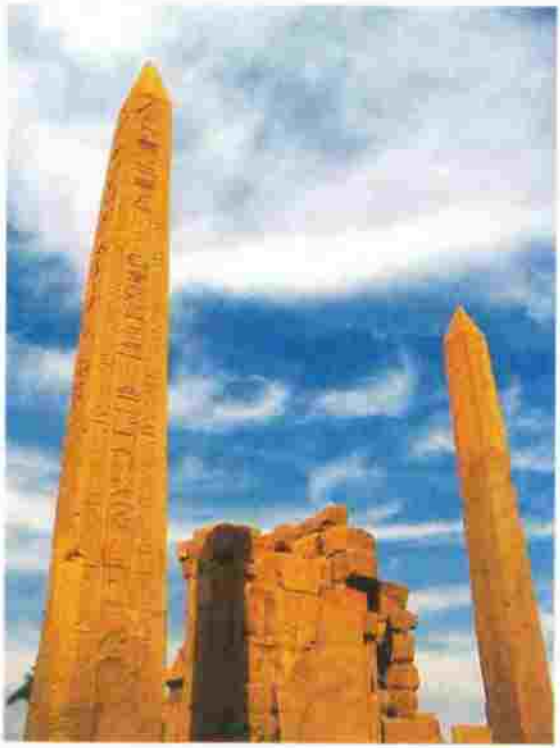

صورة رقم (٨): مسلة فرعونية تظهر عليها كتابات هيروغليفية.

أما «الموسوعة الماسونية الملكية» فتنص على أن "عبادة الشمس كانت مرتبطة بشكل واضح ببناء المسلات"[2].

وبهذا يتضح جلياً أن عِمارة الفراعنة كالأهرام، والمسلات، ورموزَهم كعين حورس، وأفعى الكوبرا «واجيت» ارتبطت بعبادة الشمس التي كانت متفشية في مصر بتجليات عديدة.

---

(1) *Encyclopedia Britannica*, "obelisk".

(2) MacKenzie, Kenneth. *Royal Masonic Encyclopedia* (Kessinger Publishing, 2002), vol. II, p. 521.

لقد حاول «جيمس فريزر» أن يفسر مبدأ أساطير «عشتار وتموز» بأنه عبادة لروح النبات لا الشمس. فكل الآلهة التي هبطت إلى العالم السفلي تمثل عنده حبة القمح التي تَخرج نباتاً. لكن هذا التفسير وإن كان محتملاً ضمناً إلا أنه يتجاهل العلاقة بين مفهوم إله النبات وبين إله الشمس. يقول «جون م. روبرتسون» في كتابه «النصرانية والأساطير»[1] معلقاً على نظرية «فريزر»:

> إنه [فريزر] يصبح جدلياً جداً عند هجومه على الرأي القائل بأن «أوزيريس» كان إله شمس. وكأن هذا يصير مستبعداً تماماً بمجرد إثبات أنه إله نبات. إن الإجابة هي أنه كان كليهما، وأن هذا المُركَّب لا مناص منه. ولعل بعض الحقائق الثابتة تزيد الأمر جلاءً. إن «مِثرا» Mithra [نظير «تموز» عند الفرس] الذي ارتبط أساساً بالشمس كما تذكر السجلات وُلد كما تحكي الأساطير في الخامس والعشرين من ديسمبر، طبعاً بسبب الانقلاب الشتوي وصعود برج العذراء في الأفق. «ديونيسوس» و«أدونيس» كانا - كما يعرض د. فريزر - آلهة نبات. ومع ذلك فكلاهما وُلد في الخامس والعشرين من ديسمبر كما كان إلهُ الشمسِ الطفلُ «حورس»... فلِمَ إذن تُولد آلهة النبات عند الانقلاب الشتوي لو لم تكن ممثِّلةً للإله الشمس؟[2]

(١) انتُقد «جون روبرتسون» في زعمه أن «يسوع» الكنيسة لم يكن سوى «أسطورة». ولهذا الرأي أسبابه المعتبرة التي ستَبين للقارئ عند الحديث عن عقائد الكنيسة الكاثوليكية.

(2) Robertson, John. *Christianity and Mythology* (Kessinger Publishing, LLC, 2004), pp. 33-34.

نخلص مما سبق إلى أن عبادة الشمس كانت واسعة الانتشار بين الأمم الوثنية البابلية والمصرية وغيرهما، وأنها عبدت بأسماء مختلفة كـ«تموز» و«بعل» و«حورس». كما اقترنت تلك العبادة بعبادة الأم الكبرى والزوجة «عشتار» أو «ملكة السماء». كان من مظاهر تلك العبادة بناء «الزيجورات» و«الأهرام» و«المسلات» و«الهياكل». وبما أن أتباع هذه الزندقة يؤمنون بتدبير الأجرام السماوية لشؤون الخلق فقد شاع بينهم التنجيم والسحر، وبذلك ادّعوا علماً خفياً اختُصّوا به دون من سواهم. وهذا العلم المزعوم المبني على التنجيم والسحر هو مصدر الباطنية والتنظيمات السرية، وهذه الوثنية هي التي كان لها أبلغ الأثر على عقائد اليهود والنصارى.